المحاضرة الحادية عشرة: مقدمة التحقيق وعناصرها

(أو ما يسمى بقسم الدراسة في تحقيق المخطوطات)

أولا: مفهوم الدراسة وأهميتها[١]:

تعريفها: "بحث في ترجمة المؤلف ومعرفة مسائل المخطوط ومعارفه الرئيسية مقارنة ونقدا، وتوثيق المخطوطات المعتمدة ونقدها"

أهميتها:

- تأكيد صدق نسبة الكتاب، وإبراز موضوعه وأهميته.
- تقويم عمل المؤلف، بالتنبيه على ما يقع من أوهام ونقائص علمية أو منهجية.
- تقريب الكتاب بتيسير وبيان كيفية الاستفادة منه.
- بيان طريقة عمل الباحث في تحقيق الكتاب وضبطه ومصطلحاته في ذلك.

أركان الدراسة[٢]:

تقوم الدراسة على أركان أساسية هي:

- مقدمة فيها تعريف الموضوع وأسباب اختياره وأهميته.
- دراسة عن المؤلف وحياته.
- دراسة عن الكتاب من حيث منهجه وأهم مسائله المطروقة.
- دراسة عن النسخ المخطوطة توثيقا ونقدا ووصفا.
- المنهج المتبع في التحقيق.

ويتحكم في طريقة الدراسة توسعا واختصارا واختلاف عناصر عدة أمور منها:

- شهرة المؤلف أو عدمها.
- قلة المعلومات وكثرتها عن المؤلف وما تعلق به.
- حجم المخطوط.

---

[١] انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص١.

[٢] انظر: مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ص ٢١٨.

– العلم الذي ينتمي إليه المخطوط: فكل علم يفرض منهجا معينا وفروعا معينة.

– ما أثير حول الكتاب من جهة نصه؛ ما أثير حول النسخ المخطوطة ونسبتها وتأريخها.

– ومما يتحكم في حجم الدراسة أيضا منهج التأليف.

فهذه – في حدود سبري– أهم الأمور المتحكمة في حجم الدراسة وكثرة أو قلة فروعها.

ضوابط منهجية للدراسة:

– من حيث الحجم: أن تتناسب مع الكتاب المحقق حجما وموضوعا.

– من حيث تناسب الفروع وتنظيمها واستيفاؤها لعناصر التعريف بالمؤلف وكتابه.

– ألا تتسم بالسطحية كأن يكون عمله مجرد سرد وجمع، دون مناقشة وتحليل ونقد[٣].

– ألا تتسم بالتقليد البحت، والمحاكاة للسابقين إلا على وجه الاتباع على بصيرة.

– حسن الترتيب والنظم والتنسيق.

– سلامة اللغة والأسلوب.

– الالتزام بأدب العلم (الموضوعية) في النقد والخلاف، سواء مع صاحب الكتاب المحقق، أو مع غيره.

– التوسط والاعتدال بين التطويل المملّ، أو الاختصار المخلّ.

أركان قسم الدراسة وفروعها

المقدمة: وفروعها يشترك هذا النوع مع بقية البحوث فلا داعي للتفصيل فيها

الركن الأول من أركان الدراسة: التعريف بالمؤلف[٤]

وهنا قد يدخل الباحث في الترجمة مباشرة، وقد يرى أهمية لعرض مختصر لملامح عصر المؤلف؛ وقد يرى البعض الاستغناء عنه؛ ولكن الصحيح أن يُفرّق بين العلَم المشهور وغيره، وبين الطالب القادر على التحليل والاستفادة منها وإعمالها في الترجمة تحليلا وترجيحا.

١ – **أولا: عصره**

والفائدة من معرفة عصر المؤلف بيان موقعه من تقاليد عصره وواقعه؛ وهل كان مقلدا ومسايرا وإلى أي حدود؛ أم كان مصلحا وناقدا ومطوّرا لواقعه أو محييا لعلوم سابقيه؛ وفي دراسة العصر يركز على جانبين اثنين:

---

[٣]انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص٣.

[٤]. يستفاد هذا الركن بفروعه من عدة دراسات لكبار المحققين؛ وانظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط، فارس السلوم، ص٣؛ مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ص ٢١٨.

الجانب السياسي ثم الجانب العلمي وقد يتطرق للجانب الاجتماعي والاقتصادي إن دعت الحاجة؛ ويبرز أهم الأحداث التي جرت مما كان له تأثير على الاستقرار وبالتالي على مسيرة العلم ورجاله.

مع التقيّد بالاختصار، والتركيز على الأمور التي قد يكون لها أثر في المؤلف وحياته وتوجهاته.

وأما مصادر دراسة عصر المؤلف فتشكلها الكتب التاريخية بصفة عامة مع الاستعانة بكتب التاريخ المعاصرة التي تلخص له أهم سمات العصر ومميزاته؛ ويركز على الجانب العلمي والثقافي بملاحظة أهل العلم في منطقته وإقليمه أو الذين كثر ورودهم في كتب المؤلف وبالخصوص في مخطوطه؛ كما يتطرق لأشهر المذاهب التي سيطرت على الساحة الفكرية والعلمية، وأشهر المدارس، والكتب المتداولة آنذاك؛ ليخرج من ذلك بما يمكن من تأثيراتها على المؤلف وكتابه.

ثانيا: اسمه ونسبه

ويدخل في هذا الفرع: الاسم، الكنية، اللقب، النسب، النسبة؛ وقد تختلف وجودا وعدما من مؤلف لآخر؛ ومصادرها: كتب التراجم والسير والتاريخ والمعاجم واالفهارس والأثبات والمشيخات والإجازات؛ كما ينبغي للباحث ألا يهمل ما تمده به كتب المؤلف المطبوعة، والمخطوطة على حدٍّ سواء.

ثالثا: أسرة المؤلف

والفائدة من هذا أن معرفة أسرته تحدد كثيرا من المعالم المؤثرة في حياته سلبا وإيجابا. مثاله: أسرة ابن مرزوق الحفيد التلمساني كان لجده وعمه وأبيه أثرا في تكوينه وإمامته؛ ومثلها: أسرة الفكون القسنطينية؛ وأسرة ابن باديس القسنطينية، وأسرة ابن تيمية الدمشقية؛ وأسرة الآلوسي العرقية، وهكذا[٥].

رابعا: المولد والنشأة

والتركيز هنا على تحديد تاريخ مولده ومكانه، ثم على البدايات الأولى لتنشئة المؤلف؛ ومن الدارسين من يضم إليها الوفاة فيذكر المولد والوفاة، وغرضه بذلك تحديد المدة الزمنية لحياته؛ والذي يناسب الترتيب المنطقي وصناعة السير أن يؤخر ذكر الوفاة؛ ثم قد يوجب ذلك أمورا أخرى كاختلاف فيها أو بناؤها على سبب أو ارتباطها بحدث مما يحسن تأخيرها.

---

[٥] وقد أنجزت بحوث كثيرة عن الأسر العلمية في مناطق عديدة في العالم الإسلامي منها: البيوت والأسر العلمية بالجزائر في العهد العثماني، فوزية لزغم؛ الأسر العلمية في المدينة المنورة، حورية عبد الإله السملي؛ تاريخ الأسر العلمية في بغداد، السيد مُحَمَّد سعيد الراوي، الأسر العلمية في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية في العصر المملوكي، خلود عبد الباقي البدنه. وغيرها كثير.

فإن اختلف في تحديد المولد فيستعان في ذلك بقواعد الترجيح ومبناها كلها على تحكيم العقل في الترجيح بين النقل؛ وإن لم يجد الباحث في المصادر تعيين سنة ميلاد المؤلف فليجتهد في تقريبها بالاستعانة بتواريخ شيوخه وتلامذته وأقرانه؛ أو بعض الحوادث التي عاصرها؛ وكل هذا يعتمد على التتبع ودقة الملاحظة.

– النسبة: قد تكون لقبيلة أو بلد أو مذهب وقد يكون لها أثر على المؤلف والكتاب فلا يغفله الطالب.

النشأة: والمقصود بها تتبع المراحل الأولى من حياة المؤلف وتعنى بطور الطفولة إلى ما قبل الشباب (ويعنى فيها بمعلميه ومؤدبيه، سواء من أسرته أو من غيرهم).

خامسا: رحلاته

والرحلة من أكبر ما يميز علماء المسلمين ومن أكبر ما يفخر به العالم على أقرانه؛ ومن فائدتها تعيين من لقيهم من أهل العلم أخذا وعطاء، وبيان تأثره وأثره في تلك المناطق التي حلها، والاستعانة به في تحديد من لم يلقهم في حال ادعي ذلك[٦].

سادسا: شيوخه[٧]

وبيان هذا الفرع يكون ببيان النقاط التالية:

– إحصاء الشيوخ إلا أن يكثروا جدا فليقتصر على بعضهم إن شاء.

– تراجمهم بإيجاز مع ضرورة تحديد الميلاد والوفاة، وبيان مراتبهم في العلم وتخصصاتهم.

– تحديد العلوم التي أخذها عليهم والإجازات التي حصلها منهم.

– ذكر ما تحصل منهم من ثناء على المؤلف فمن أعظم الثناء ثناء الشيوخ على طلبتهم.

– تحديد تاريخ الأخذ عنهم ومكانه.

– محاولة بيان استفادته منهم في كتبه المؤلف المختلفة، مع التركيز على الكتاب محل التحقيق.

– بيان مدى تقدير المؤلف لهم من عبارات الثناء ونحوها

– ضرورة تمييز طرق الأخذ عنهم هل كانت بالقراءة والسماع أم بمجرد الإجازة.

وعلى الطالب ترتيب مصادر بيان شيوخ المؤلف على النحو التالي:

- ✓ كتب المؤلف المطبوعة والمخطوطة (خاصة إن كان ممن يروي بالأسانيد).
- ✓ كتب شيوخ المؤلف.

---

[٦] وقد ألف في ذلك عدة كتب أشهرها كتاب: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي.

[٧] انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص٦.

- ✓ كتب تلاميذ المؤلف فإنهم أعلم بشيوخه.
- ✓ كتاب التراجم والتاريخ على العموم.
- ✓ الفهارس، والأثبات والمعاجم، البرامج (كتب الرواية)
- ✓ الإجازات.
- ✓ كتب العلوم بأنواعها مما يتردد فيه اسم المؤلف فقد يلتقط منه شيء من ذلك.

– **سابعا: أعماله ووظائفه:** والمقصود هنا الوظائف الرسمية ونحوها من الحرف والنشاطات؛ كالتعليم والخطابة والقضاء والإفتاء، والوزارة أو الولاية أو السفارة؛ أو الحرف كالتجارة أو الزراعة.

– **ثامنا: تلاميذه:** وتقوم مسائل هذا الفرع على النقاط التالية:

– إحصاء التلاميذ إلا إن كثروا جدا فيقصر على أشهرهم، وألصقهم بموضوع الكتاب.

– تراجم وجيزة مع ضرورة تحديد الميلاد والوفاة، وبيان مراتبهم في العلم وتخصصاتهم؛

– تحديد العلوم التي أخذوها عنه والإجازات التي حصلوها منه.

– استقراء ما تحصل منهم من ثناء على المؤلف.

– محاولة بيان استفادتهم منه في كتبهم المؤلفة مع التركيز على الكتاب محل التحقيق.

– ضرورة تمييز طرق الأخذ عنه هل كانت بالقراءة والسماع أم بمجرد الإجازة.

– تحديد مراتبهم في الملازمة والأخذ.

تاسعا: مؤلفاته[٨]: وأهم النقاط لهذا الفرع:

– استقراء أسمائها مع بيان المطبوع منها والمخطوط وما هو في حكم المفقود.

– تصنيفها حسب الفنون العلمية إن كثرت.

– التعريف بها وتحديد مواضيعها وبيان أهميتها والتنويه بها إن كانت مخطوطة لتحقيقها؛ وذلك باختصار.

– بيان تأثيرها في كتب أهل العلم، بعده وما بني عليها شرحا أو تهذيبا ونقدا.

– محاولة تتبع الاقتباسات الباقية من كتبه المفقودة.

مع الحذر من تعدد الأسماء لكتاب واحد؛ ووجوب التحقق من نسبتها إليه.

عاشرا مذهبه وعقيدته[٩]: ويعمّ الأمر هنا المذهب الفقهي والعقدي والعلميّ: فالفقهي: كالمذاهب الأربعة ونحوها؛ والعقدي الانتساب إلى إحدى الفرق الإسلامية.

---

٨ انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص٥.

والعلمي: المقصود به أشياء كثيرة، أهمها: العلم الذي نبغ فيه المؤلف بحيث نسب إليه واشتهر به: المقرئ النحوي المحدث الفقيه المتكلم ونحو ذلك؛ ويقصد به الاتجاه المنهجي ضمن العلم الواحد: فمثلا المالكي قد يكون على طريقة البغداديين أو القرويين؛ والنحوي قد يكون بصريا أو كوفيا أو بغداديا أو أندلسيا؛ والمحدث قد يكون من أهل الرواية أو من أهل النقد ونحو ذلك.

ومعرفة المذهب على نحو جيّد تفيد كثيرا في توجيه وتعليل منهج المؤلف واختياراته؛ ويحاول الباحث دراسة مدى تأثير المذهب على المؤلف منهجا واختيارات.

الحادي عشر: منزلته ومكانته العلمية

وفائدة هذا الفرع هي تقوية وشهادة للكتاب المحقّق، فإن منزلة العالم تؤثر سلبا وإيجابا على أهمية كتابه والاستفادة منه؛ ويمكن إجمال هذا الفرع في جهات:

- ما ورد من أقوال أهل العلم فيه بخاصة أو في كتبه.
- شهادة الناحية العملية له: كتداول اسم المؤلف وكثرة الاستفادة منه.
- ما تخرج على يديه من الطلبة أو ما أثاره من حركة علمية.

قد يصادف الطالب الاختلاف في تقييم بعض المؤلفين مدحا وذما، توثيقا وتضعيفا: فعليه حينئذ أن يتبع القواعد العلمية إما بالتوفيق بينها إن أمكن؛ فقد يكون محور المدح والذمّ غير راجع للعلم بل لشي آخر كخلق سيّءٍ؛ أو قد يكون المؤلف محققا في كتاب مقصّرا في كتاب آخر لسبب من الأسباب[١٠]؛ فإن لم يمكنه ذلك فليعتمد على الترجيح في ذلك على حسب القواعد العلمية.

وليحذر من شيئين:

١- الاغترار بالمدح أو الذم المفرط، الذي قد تنتجه مناسبات جمة على رأسها: اتفاق واختلاف المذهب/ التلمذة/العصبية العائلية والقبلية/ المعاصرة والمنافسة.

٢- يحذر العاطفة والانسياق النفسي فبعض الباحثين يركبون الصعب والذلول للرفع من مكانة صاحب الكتاب المحقق، لظنهم أن رفع منزلته سيعطي مكانة لتحقيقهم!! بل الواجب العدل والإنصاف.

ثم يختم هذا ببيان أثر ذلك في انتشار الكتاب من عدمه.

---

٩ انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص٥.

[١٠] من أمثلة ذلك كتاب المستدرك للحاكم، فإنه مما انتقد كثيرا؛ بخلاف كتبه الأخرى؛ ومثله أبو عليٍّ الأهوازيُّ المقرئ، فمصنفاته في القراءات مقبولة بعكس كتبه الحديثية فهي مليئة بالضعيف والموضوع.

الثاني عشر: وفاته[١١]

وهنا قد يجد النص صريحا في كتب التراجم ولا يجد فيه اختلافا؛ وقد يجد الاختلاف فيلجأ إلى التوفيق أو الترجيح على حسب ما ذكرت في الميلاد.

فإن لم يجد شيئا، فليحرص على التقريب: باستعمال القرائن التي يجدها في ترجمته من شيوخه وتلامذته وكتبه والأحداث التي عاصرها؛ ومخطوطات كتبه.

١١ انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص٣.